

الحلقة الخامسة والخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ما هي نظرتك مستمعي للأولاد؟ هل تحبهم وتعاملهم بلطف ومودة؟ وهل تسعى لكي تشجعهم وتحثهم على الاجتهاد والسلوك القويم؟ وهل ترى فيهم رجال ونساء المستقبل؟ أم تراك تنظر لهم من أعلى وتزدرى بهم وبمواهبهم؟ وأحياناً تحاول صدّهم مستهيناً بهم؟ إن نظرة أي مجتمع للأولاد هي نظرة هامة، إذ تحدد مستوى رقي ذلك المجتمع، ومدى حرصه على أجيال المستقبل وتنشئتهم وتربيتهم التربوية الصالحة. لكن مع الأسف مازالت مجتمعاتنا العربية متأخرة في هذا المجال، إذ ما زالت تنظر للأولاد نظرة سلبية.

هل تعلم مستمعي أن الولد هو شخص كامل بما تعنيه هذه الكلمة من معنى؟ وأن عدم احترام الأولاد وزجرهم يؤثر على شخصياتهم في المستقبل؟ أو ليس هذا ما نراه في كثير من الأحيان في مجتمعاتنا العربية؟ فالولد إن كان ذكراً أم أنثى لا قيمة له على الإطلاق، ولهذا يُهمل ولا يُسمع له. أعجبنى مرّة أحد الآباء عندما رأيتُه يُصغي باهتمام زائد إلى أولاده، ويحاول أن يفهم ما يريدون قوله، لكي يحقق رغباتهم. حتى أنه أهمل ضيوفه وأخذ يستمع إلى أولاده.

ولقد واجه المخلص المسيح مرّة مشكلة إهمال الأولاد وزجرهم. وكشف موقفه الواضح منهم. نقرأ الآن هذه الفقرة من الإنجيل المقدس: «حِينَئِذٍ قَدِمَ إِلَيْهِ أَوْلَادٌ لِكَيْ يَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَيُصَلِّيَ، فَانْتَهَرَهُمُ التَّلَامِيذُ. أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: «دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُوا إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ». فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى مِنْ هُنَاكَ» (بشارة متى ١٩: ١٣-١٥). سننأمل الآن بهذه الحادثة الهامة فابقوا معنا.

تشير هذه الحادثة إلى تقديم بعض الناس للأولاد الصغار إلى المخلص المسيح لكي يضع يديه عليهم ويصلي من أجلهم ويباركهم. لكن تلاميذ المسيح الذين يبدو بوضوح أنهم كانوا لا يحترمون الأولاد ويستهيئون بهم، زجروا هؤلاء الأولاد وأرادوا

إيعادهم. لقد ظنّ هؤلاء التلاميذ أن المسيح المعلم العظيم، والمخلص الوحيد لا بد أن يشاركهم في موقفهم. فهو لا وقت لديه لمثل هؤلاء الأولاد الذين لا قيمة لهم في المجتمع. وهو في مركز أعلى وأسمى من أن يكثرث بهؤلاء الأولاد الصغار، الذين لا مركز لهم. ولسان حالهم يقول: من هم هؤلاء الأولاد؟

لكن المخلص المسيح فاجأ تلاميذه عندما قال لهم: «دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ». ثم وضع المسيح يديه عليهم وصلّى من أجلهم وباركهم. فماذا قصد المسيح بقوله الهام هذا عن الأولاد؟

نلاحظ أن المسيح دعا تلاميذه لعدم رفض الأولاد الذين يريدون أن يأتوا إليه. وأضاف معلناً حقيقة هامة وهي: «لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ». لقد أراد المسيح أن يأتي إليه الأولاد لأنه أولاً: يحبهم كأشخاص ويحترمهم، رغم صغر عمرهم. وهو الذي أحب كل البشر بما فيهم الأولاد الصغار.

والسبب الثاني أنه تتوفر في الأولاد كل الصفات والشروط اللازمة للاقتراب إلى الله والدخول إلى ملكوته. فالأولاد يتحلون بصفات البراءة والبساطة والثقة بالله وتصديق كلامه. وهذا يعني قبولهم لرسالة الخلاص بكل بساطة دون أي تعقيد أو ممانعة، وعلى عكس الناس البالغين. ولهذا أكد المسيح في كلامه أنه: «لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» أي لكي يدخل المرء إلى ملكوت الله عليه أن يقبل خلاص الله ببساطة وثقة كالأولاد تماماً. وسبق للمخلص المسيح أن قال أيضاً: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الْأَوْلَادِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (بشارة متى ١٨: ٣). علينا إذن أن نتواضع ونصير كالأولاد، لكي نحصل على خلاص الله ندخل إلى ملكوته.

نعود لنكرر التساؤلات التي طرحناها في بداية هذا اللقاء: ما هي نظرتك مستمعي للأولاد؟ هل تحبهم وتعاملهم بلطف ومودة؟ أم تراك تنظر لهم من أعلى وتتردي بهم وبمواهبهم؟ وأحياناً تحاول صدّهم مستهيناً بهم؟ أو لا تعتبر أسلوب المسيح في التعامل مع الأولاد مثلاً يُحتذى؟

سبق للملك والنبي سليمان أن كتب في سفر المزامير قائلاً: «هُؤَذَا الْبُنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، ثَمَرَةُ الْبَطْنِ أُجْرَةٌ. كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ، هَكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيبَةِ. طُوبَى لِلَّذِي مَلَأَ جَعْبَتَهُ مِنْهُمْ. لَا يَخْزُونَ بَلْ يُكَلِّمُونَ الْأَعْدَاءَ فِي الْبَابِ» (مزامير ١٢٧: ٣-٥). إن البنين

هم إذن بركة من عند الرب. وهم كسهام بيد جبار، أي لهم أثر كبير وفَعَال، ويكون محظياً ذلك الذي لديه أولاد كثيرون. وعلى هذا الأساس يجب معاملة الأولاد معاملة حسنة والاهتمام بهم وعدم صدّهم أو زجرهم، بل على العكس تشجيعهم، وإن أساءوا يجب تأديبهم بحكمة ولطف.

وهناك في الكتاب المقدّس نصائح عديدة لكيفية معاملة الأهلين للأولاد، ولضرورة إطاعة الأبناء لهم. لا بل إن إحدى الوصايا العشر التي أعطها الله لكليمه موسى دعت الأولاد لكي يكرموا أهلهم. أما الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل فقد دعا الأهلين أن لا يغيظوا أولادهم بل يربّوهم بتأديب الرب وإنذاره.

ولعلّ أهم درس نأخذه من كلام المسيح الأنف الذكر: **أن لمثل هؤلاء الأولاد ملكوت السموات.** فالأولاد هم مثال لنا نحن الكبار في البراءة والبساطة والثقة الكاملة أي الإيمان. فكما أن الأولاد يتحلّون بهذه الصفات بشكل طبيعي علينا نحن أن نسعى لكي نمتلكها ونصبح مثلهم، لكي نحظى بملكوت السموات.

إننا نحن البالغين مستعبدين مع الأسف للخطية، ولهذا علينا أن نأتي إلى الله تائبين عن خطايانا، ومؤمنين بالمخلص المسيح الذي وحده يقدر أن يحررنا من عبودية الخطية ويجعلنا من أولاد الله. وعندها فقط نستطيع أن تتحلّى بهذه الصفات التي يمتلكها الأولاد بالطبيعة، وندخل بالتالي إلى ملكوت الله.